

أنا وأنت على الطريق

الحزن على فراق عزيز

هل تعلمين سيدتي أنّ الحزن على فراق الزوج أو الأخ أو أي عزيز صعب للغاية؟ وخاصة في مجتمعاتنا العربية؟ حيث الزوجة أو الأم التي فقدت زوجها أو ابنها تعيش في اكتئاب مستمر مدى الحياة في أحيان كثيرة. تعالي معي نستمع إلى ما جاء في هذا التقرير عن الموضوع ولأول مرة في البرنامج إذ يقول:

العلم يثبت أنه من الحب ما قتل. كيف؟ يقول باحثون إن الحزن على فراق حبيب قد يؤدي فعلا إلى الموت. لأن من شأن ذلك أن يضعف من قدرة الجسم على مكافحة البكتيريا. وذكرت صحيفة "ديلي تلغراف" البريطانية أن اختصاصيين في أمراض المناعة في جامعة بيرمينغهام أجروا دراسة أظهرت أن ازدياد الضغوط العاطفية والاكتئاب اللذين ينتجان عن الحزن لفقدان حبيب قد يتعارض مع عمل نوع من الخلايا البيضاء، هي الخلايا العَدَلَة Neutrophils نيوتروفيلز المسؤولة عن مكافحة الإصابات البكتيرية مثل داء الرئة. وأشار الباحثون إلى أن تأثير الحزن على هذه الخلايا يزداد مع التقدم في السن. وقالت الباحثة جانيت لورد: "توجد الكثير من الحكايات عن أزواج عاشوا معا لأربعين عاما، يموت أحدهما ويلحقه الآخر بعد بضعة أيام. ويبدو أنه يوجد تفسير بيولوجي لهذه الظاهرة." وتابعت: بدل الموت من الحزن يموت الأشخاص من خلل في جهاز المناعة، لأنهم عادة ما يصابون بالالتهابات.

ويتابع التقرير ليقول: أجرى الباحثون دراسة شملت أجهزة المناعة الخاصة بـ ٤٨ راشداً تتجاوز أعمارهم الخامسة والستين عاما، وقد عانى نصف العدد من مأساة كبيرة. وظهر أن النشاط المضاد للبكتيريا الخاص بالخلايا العَدَلَة كان أقل بكثير لدى الأشخاص الذين يعانون من الحزن مقارنة بالباقيين. كما وجدوا أن هرمون الضغط النفسي الكورتيزول، الذي يعرف بقمع فعالية الخلايا العدلة مرتفع لديهم. وقالت لورد إن الشبان ينتجون هرمون DHEA الذي يناهض هذا التأثير ويحافظ على عمل جهاز المناعة. غير أن هذا الهرمون يتراجع مع التقدم في السن. وقال العلماء إن المعاناة من كسر في الورك يؤدي أيضا إلى اختلال توازن الهرمونات ويسبب مشاكل في جهاز المناعة. إلى هنا ينتهي التقرير.

هل تعلمين سيدتي أنّ أصدقاء الرب يسوع المسيح يوم كان على أرضنا هذه قد مروا بنفس هذه التجربة تجربة الحزن على فراق عزيز لهم؟ كان لعازر ومريم ومرثا أخناه عزيزين على قلب يسوع المسيح، لأنه كان دائما يستريح في بيتهم. ومرة مرض لعازر ومات.

وحزنت الأختان عليه حزنا شديداً لا يوصف. ولما أتى يسوع المسيح إلى بيت عنيا حيث كانت تسكنان، قامت مرثا بملاقاته وقالت له: يا سيد لو كنت ههنا لم يميت أخي. لكني الآن أيضا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه. قال لها يسوع: سيقوم أخوك. قالت له مرثا: أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير. قال لها يسوع: أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي في يموت إلى الأبد. أتؤمنين بها؟ قالت له نعم يا سيد. أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم.

ويتابع البشير يوحنا كاتب الإنجيل بوحى من روح الله القدوس ليخبرنا عن هذه الحادثة ليقول: بأن مريم أيضا لاقتة وخرت عند رجليه وقالت ليسوع نفس الكلام الذي قالته أختها مرثا. يا سيد لو كنت ههنا لم يميت أخي. فلما رآها يسوع تبكي والذين معها يبكون انزعج بالروح واضطرب . وقال أين وضعتموه؟ قالوا له يا سيد تعال وانظر. بكى يسوع. وعند القبر قال يسوع: ارفعوا الحجر. قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع: ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله؟ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا. فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب." (يوحنا ١١)

نعم يا سيدتي، لقد ارتأت مشيئة الله القدير بأن يُحيي الرب يسوع لعازر من جديد بعد أن مات وأنتن في القبر. كان يسوع يحب هذه العائلة بالذات، وحين فقدت عزيزا عليها تحركت أحشائه حزنا لحزنهم، وبكى لبكائهم. حزن لفراق لعازر. لكن هذا الحزن لم يطل، لأنه تحوّل إلى فرح. إذ أقامه الرب يسوع المسيح من بين الأموات. وأعادته إلى أختيه. لقد بيّن من خلال هذه المعجزة مجد الله وبيّن أنه هو فعلا القيامة والحياة لأن له سلطاناً على الأحياء والأموات. حقا لقد ترك الرب يسوع لنا مبدأ هاما نتعلم منه ألا وهو أنه حتى إذا مات الإنسان وفارق هذه الحياة وكان مؤمنا بالرب يسوع المسيح المخلص الآتي إلى العالم، فإنه لن يموت بل سوف يحيا إلى الأبد. أي أن هناك رجاء أكيدا بالحياة الأبدية عندها لن نحزن كباقي الناس الذين لا رجاء لديهم. فهل لديك سيدتي هذا الرجاء بالحياة في دار النعيم بعد الموت؟ وهل تخبرين عن هذا الرجاء الحقيقي كل من هو حزين على فراق زوج أو عزيز؟
